**المحاضرة رقم 04: الفضاء الهابرماسي.**

*1- التعريف بـ:* ***يورغن هابرماس****:*

هو فيلسوف وعالم اجتماع ألماني ، من أهم ممثلي الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت، والنظرية النقدية الاجتماعية التي عمل أكثر من ثلاثين عاما على بلورتها وتطويرها والتوسع فيها، وتحويلها إلى فلسفة واعية وعملية للتحرر والتواصل. من أبرز كتبه المترجمة: القول الفلسفي للحداثة، الحداثة وخطابها السياسي، المعرفة والمصلحة، اتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، العلم والتقنية كأيديولوجيا.

*2- الخلفية التاريخية والفلسفية لفكر هابرماس في مفهومه للحداثة:* اعتمد هابرماس في مفهومه للحداثة على:

**أ/ هابرماس وماكس فيبر**: فإذا نظرنا إلى الحداثة عند هابرماس نجدها تحيل دائما إلى ماكس فيبر (المعروف بكتابه الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية) من جهة التعقيل، أي أن العقلانية محرك رئيسي للمجتمع الحداثي، فكل ماهو حديث هو عقلاني، وهو بهذا يعتبر ماكس فيبر مرجعه في مفهوم العقلنة ودعا إلى عقلنة من نوع آخر، عقلنة تعترف بالمصالح البشرية وتقترن بالنقاش والحوار.

**ب/ هابرماس وهيجل**: يرجع هابرماس في مفهومه للحداثة إلى هيجل باعتباره الفيلسوف الأول الذي قدم بكل وضوح مفهوما للحداثة باعتبارها مفهوم تصنيفي للتاريخ أو للحقب التي مر بها الغرب، بداية من عصر النهضة وعصر الإصلاح ( هو صاحب كتاب "فينومينولوجيا الروح"),

فهيجل كان يؤكد على التأمل الذاتي، أي مبدأ الذاتية الذي يحتوي على دلالات منها "الفردانية"، "الحق في النقد"، وهو يعتبر مبدأ الذاتية من أهم سمات الحداثة، وهو يميز بين هذه الصور الذاتية، وهي الصور المعتدلة العقلانية. وصرح بأخرى مغيرة، فقد اشترط الاعتدال والابتعاد عن التطرف. لقد كان التفاؤل في عصر الأنوار بقدرة العقل على إحداث انفصال الدين عن المعرفة، الأخلاق، الفن،...

**ج/ نقاد ما بعد الحداثة**: 1- نيتشه: كان له رؤية تشاؤمية حول الحداثة، سمي بزمن "ما بعد الحداثة"، وهو يرى بافتقار الزمن الحاضر لكل قيمة مهما كان شأنها.

2- انتقادات مدرسة فرانكفورت "ماكس هوركهايمر، تيودور أدورنو، هربرت ماركيز": تقوم بنقد جذري للفكر والحضارة...، وقامت هذه المدرسة بنقد العقلانية الانوارية والمؤسسات السياسية والاقتصادية والثقافية المرتبطة بها، ورأى كل من "هوركهايمر" و"ادورنو" أن الأزمة التي تورط فيها التنوير هي أزمة الهيمنة على الإنسان والتحكم في واقعه، وهي أزمة موجودة في العقل ذاته.

كما تفرق النظرية النقدية بين نمطين من العقل: الأول تنويري وتحريري يقوم على أفكار الثورة الفرنسية وقيمها في العدالة والحرية...، والثاني نقيض الأول سموه بالعقل الاداتي من ماكس فيبر. هدفه السيطرة المتحكمة، وهو أداة للسيطرة الكلية على الطبيعة والإنسان، تبلور بشكل جلي في عصر التنوير، حيث تم تحويل الطبيعة إلى أداة يجب أن تستخدم وتستغل.

لقد نقد "هابرماس" الحداثة من حيث نقده للعقل الاداتي الذي يكرس مظاهر التقنية والتقدم الصناعي، والذي قضى على إنسانية الإنسان، فالتقنية قد أخلت بالفعل التواصلي السليم المبني على التشاور والحوار بين الذوات، وحل محله التواصل التقني الذي قلص العلاقات الإنسانية. فهو ينتقد الحداثة ولكن في نفس الوقت لا يعني التخلي عنها، لابد من استخلاص دروس من ذلك، فهو يرى أن أسس الحداثة قد نخرتها أزمات تتمثل في:

- مبدأ الذاتية: جعل الحقيقة نتاج الذات فقط.

- مبدأ العقلانية: تحويل الإنسان إلى جزء من الطبيعة.

- التقنية: سيطرة أيديولوجيا التقنية.

وهو ينتقد فلاسفة ما بعد الحداثة أمثال "نيتشه" "هيدغر"، و "جاك دريدا" الذين وضعهم في إطار التيار الفوضوي، فهو لم يرفض الحداثة انطلاقا من سلبياتها (العقلانية الاداتية)، كما فعل "هوركهايمر"، و"أدورنو"، فانتقل هابرماس من نقده للحداثة باعتبارها مشروعا غير مكتمل إلى إعادة بنائها من خلال كل من العقلانية التواصلية، والأخلاق التواصلية.

لقد احدث هابرماس ضجة بالكلمة التي ألقاها في 1980 بمناسبة حصوله على جائزة ادورنو تحت عنوان "الحداثة مشروع غير مكتمل"، فبهذه الكلمة هو ضد التيار الفكري لحركة ما بعد الحداثة، وهو يرى بأن الحداثة مشروع لا حقبة تاريخية، وأن هذا المشروع ينبغي أن يكتمل، ونتيجة لهذا جاء بنظرية الفعل التواصلي، اصطلح عليها "العقلانية التواصلية" مكان "العقلانية الاداتية". باعتبار أن التواصل كان ولا يزال مستمرا خاصة مع زمن الثورة التكنولوجية تتواصل فيهما كل الثقافات واللغات. فتحول من الاهتمام بالذوات والأشياء، إلى الاهتمام بقضايا التواصل والتفاهم بين الذوات بالاعتماد على اللغة، وهو بهذا يعود بالإنسان إلى طبيعته الأولى، أي يعيد للإنسان إنسانيته المفقودة، وهذا التواصل يشترط الأخلاق، هذه الأخيرة هي البؤرة المهيمنة في المشروع التواصلي الهابرماسي، وكل العناصر مشدودة إليها، فإذا أراد القائم على التواصل خلق نوع من التفاهم يشترط أن تكون ألفاظه صحيحة وفعله دقيقا وصالحا، فالعلاقة تلازمية.

إذن يمكن القول أن يورغن هابرماس يسعى إلى إحلال ثقافة الحوار والتعايش والتواصل بين جميع الفئات والطوائف، وهو يسعى أيضا إلى فكر مختلف يؤمن بالكونية والعالمية، ويجعل الحوار سلوكا اجتماعيا يوميا ونمط معيشي وطريقة للتفكير، الذي يشترط فيه البعد النظري الأخلاقي بما يسميه "اتيقا المناقشة".

إن مفهوم الفضاء العمومي قد استعمله يورغن هابرماس في أطروحته 1960 تحت عنوان "الفضاء العمومي اركيولوجيا الدعاية باعتبارها مكون بنيوي للمجتمع البورجوازي" تطرق فيه إلى ميلاد الفضاء العمومي البرجوازي بانجلترا خلال القرن الثامن عشر، حيث شهد ميلاد الصحافة، التي شكلت أداة للسلطة السياسية من أجل إيداع المراسيم وأخبار الأمن والمحاكم وأسعار المنتجات، وظهرت فضاءات عامة (مقاه، صالونات، نوادي...)،كان البرجوازيون يتبادلون فيها الرأي ويتناقشون في قضايا كالفن، والمسرح، الأدب...

*3- تعريف الفضاء العمومي حسب هابرماس:* - هو ذلك المجال الذي يتم فيه التحاور والمناقشة وتبادل الآراء، يتيح للمواطن والسياسي إمكانية التواصل والتفاعل لمناقشة قضايا مجتمعهم المختلفة.

- هو عبارة عن دائرة وسطية تكونت تاريخيا في عصر الأنوار بين المجتمع المدني والدولة، وهو مجال متاح لجميع المواطنين، حيث يجتمع الجمهور للتعبير عن رأي عام. يرى "فولتون" أن الفضاء العمومي يرمز إلى واقع الديمقراطية في نشاطها وممارستها.

*4- يرتكز الفضاء العمومي على:*

النقاش والحجاج العقلي (الأدلة المنطقية المقنعة)، هذا الأخير الذي لا يمكن أن يستقيم على غير سلطة العقل، بمنأى عن أي أيديولوجية.

إضافة إلى الديمقراطية: بحيث يرى هابرماس أن التفاهمات والتوافقات لا يمكن أن تتم إلا في المجتمعات الديمقراطية، لأن في المجتمعات غير الديمقراطية لا وجود لها، لأنها قد تؤدي إلى النزاعات الدموية والصراعات الأهلية.

إذن: من خلال هذه العوامل فإن الفضاء العمومي حسب هابرماس هو أداة يتمكن من خلالها المجتمع من حكم نفسه، وفض نزاعاته من خلال المشاركة العمومية، فالفضاء العمومي هو أحد ركائز الديمقراطية.

*5- شروط نجاح الفضاء العمومي:*

- مدى الوصول والانتشار.

- درجة الحكم الذاتي (المواطنون أحرار، لا وجود للسيطرة والهيمنة).

- المساواة في المشاركة.

- الفهم والثقة والوضوح في المضمون الإعلامي.

- وجود سياق اجتماعي ملائم (سياق مشترك).

*6- التحولات البنيوية للفضاء العمومي:*

- يرى هابرماس أن النموذج الليبرالي هو الأمثل للفضاء العمومي لوجود تحرر قوي، لكن فيه تناقض تمثل في قمع الرأي العام الشعبي، حيث أصبحت المصلحة العامة تحتكرها فقط الطبقة البورجوازية.

- الانتقال من دولة دستورية ليبرالية إلى دولة اشتراكية جعل دور الفضاء العمومي يتآكل من حيث تدخل الدولة في جميع مجالات الحياة، مما أدى إلى انعدام الاهتمام بالسياسة، فالرأي العام فقد دوره النقدي وظهر عصر الدعاية المتلاعبة بالعقول.